المقدمة:

الحمد لله والصّلاة والسّلام على رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

تعد الموشحات من الفنون الشعرية التي استحدثها أهل الأندلس أواخر القرن الثالث الهجري، ولقد لقيت اهتماما كبيرا من لدنِّ الباحثين والدّارسين عربا ومستشرقين، حتى ليُخيَّل إلى الباحث أنَّهم لم يدعوا فيها شيئا دون أن يقتلوه بحثًا ودراسة، غير أن الملتفت إلى الموشحات في العصر العثماني لا يعدم أن يجد فيها كما معتبرا لم يحض بالدرس والتنقيب الكافيين؛ لأن أدب تلك المرحلة التاريخية غالبًا ما وصف بالرَّكاكة والانحطاط جعلت الموشحات طيّ النّسيان ولم تأخذ حقها من الانصاف.

وقد ساعد انتشار التّصوف في بلاد الشام بشكله الواسع خلال فترة الحكم العثماني كثيرا على رواج فن التوشيح؛ إذ جعل منه هذا الاتجاه الديني الصوفي فنا اجتماعيا وحيويا هاما، حيث أصبح ينشد في محال الذّكر وتكايا المتصوفة والمتعبدين وزاوياهم، واستمر على هذه الحال حتى نهاية القرن الثاني عشر الهجري.

وحريٌّ بفن الموشح أن تتقد جذوته وقد وجد له حضورًا وإقبالا عليه في بيئة خصبة تسعفها ذائقة صوفية تتخذ من الشعر عموما سبيلا للمناجاة والتّغني بالحب الإلهي وصبِّ المواجيد، وليس من بدٍّ أنَّ الملتفت إلى الموشح الصّوفي في هذه الفترة أن يجد ما يعكس خصائص فنية في موشحات مغيبة تستحق أن يلتفت إليها، لذا فإنَّ التّفكير في سدِّ شيء من هذا النّقص في دراسة الموشحات الدينية يعد أمرا مستساغًا.

و ممن أبدعوا في نظم الموشحات في ذلك العصر الشيخ عبد الغني النّابلسي وهو أحد سادة التّصوف في دمشق، فقد تناقل النّاس موشحاته جيلا بعد جيل وأنشدها الصّوفية في

حلقاتهم ومجالسهم، حتى خلودها إلى يومنا هذا فلم يتوانَ منشدوا هذا العصر عن تلحينها وتسجيلها بأصواتهم وإنشادها في المحافل والملتقيات والتظاهرات الخاصة بالإنشاد الديني.

وبعد استماعي لعدد من موشحات عبد الغني النّابلسي وقراءتي لعينة من ثلاث وسبعين موشحة جمعت في ديوانه المعنون بـ " **الحقائق ومجموع الرقائق**"، تبلورت لديَّ فكرة موضوع أتقدم به لنيل شهادة الماجستير – في شعبة الأدب العربي قديمًا وحديثًا – بالعنوان التالي: " **موشحات عبد الغني النّابلسي دراسة موضوعية و فنية لديوان الحقائق ومجموع الرقائق** "، وقد انطلقت في بحثي بعدد من الإشكاليات منها: من هو عبد الغني النّابلسي؟ وماهي توجهاته الفكرية؟ ماهي الموضوعات التي يتناولها في موشحاته؟ وكيف لفن الموشح الذي يعتمد على عنصر الألحان والموسيقى أن يستوعب تجارب هذا الشاعر الصّوفي الشعورية التأملية؟ وكيف استطاع هذا الشّاعر تطويع معانيه الصّوفية في هذا القالب الغنائي؟ ما طبيعة الصّور التي وظفها في موشحاته؟ وما طبيعة تشكيلاته الوزنية؟ ما الذي يميّز هذه الموشحات عن غيرها حتى لقيت هذا الرّواج؟ وغيرها من التساؤلات التي أثارت الفضول حول هذه الموشحات.

وتتمثل أهمية هذه الدراسة وهدفها في الكشف عن القيمة الفنية و الجمالية التي تختص بها موشحات النّابلسي ضمن إنتاجه الشعري ومدى أهميتها في مجال الأدب في ذلك العصر، وبيان قدرة النّابلسي على صبِّ مواجيده الإلهية واستحضار أفكاره الصّوفيه وتطويعها لشروط هذا الفن المستحدث معنى ولغةً وإيقاعًا وبناءً فنيًا.

وانطلاقا مما سبق يمكن تحديد مجموعة من الدوافع الذاتية (الشخصية) والموضوعية، التي وقفت وراء اختيار موشحات النّابلسي دون غيرها من نظمه الشّعري الذي تضمنه ديوانه السابق الذكر، أما الدوافع الذاتية فهي:

– الرّغبة الملّحة في كسر الحاجز النّفسي الذي كان يحول بيني وبين النّظر في الموشحات سابقا كفن شعري من جهة و مضامين الشعر الصّوفي من جهة أخرى، فضلا عما يلحق المتمعن فيهما من لذة الاكتشاف، ومتعة الفن، ترجع لطبيعتهما التي تتميز بالخروج عن المألوف، فالموشحات من جهة المبنى والأوزان، والمضمون الصّوفي من جهة المعنى وتوظيف الألفاظ والصّور والأخيلة.

أما الدّوافع الموضوعية فقد تمثلت في :

– استحقاق الموضوع للبحث كمًا وكيفًا؛ إذ أن الخوض فيه سيبرز خصائص موشحات النّابلسي، وما يميزها شكلا ومضمونًا.

– غِنَى شعر عبد الغني النّابلسي وثراؤه بالموشحات؛ إذ بلغ عدد موشحاته في ديوان الحقائق ومجموع الرقائق ثلاث وسبعون موشحة وهو عدد يجدر بأي باحث الالتفات إليه.

و اعتمدت الدّراسة على أكثر من منهج فقد أفادت من المنهج البنيوي، و من إمكانات البحث الأسلوبي في عدد من إجراءاته الإحصائية والوصفية، مستعينة بذلك على تحديد العناصر التكوينية البارزة في تكوين نص الموشحات كما اقتضت الدّراسة وأهدافها الاستفادة أثناء عملية التحليل من المنهج النفسي في دراسة عناصر البناء والتكوين في شخصية عبد الغني النّابلسي، وذلك أن لكل منهج نقائص وثغرات يمكن سدُّها بتكامل هذه المناهج.

وتقع الدراسة في تمهيد وأربعة فصول جاءت على التعاقب التالي:

I. في **التمهيد:** الشاعر وعصره، سياسيا واجتماعيا، واقتصاديا، والحالة الثقافية والعلمية....
II. و **الفصل الأول:** مضامين موشحات عبد الغني النّابلسي، من خلال تحديد البنية المعجمية للشاعر تبيَّنت المضامين التي عالجها النّابلسي في موشحاته، فكانت كما يلي: الحب

الإلهي، الخمرة الصّوفية، الأفكار الفلسفية والتي تصب في مذهبه الصّوفي وحدة الوجود، ثم المديح النّبوي.

III. أما **الفصل الثاني** : البناء الفني والتّصويري في موشحات النّابلسي، وفيه أنماط بنية موشحات النّابلسي، والمطالع والمقدمات، و سبل التّخلص عند النّابلسي في الانتقال من معنى إلى معنى في موشحاته، ثم الخرجة في الموشحة. بعدها دراسة بناء الصّورة الشعرية بأنواعها البلاغية:(التشبيهية، الاستعارية، الكنائية) والصور الحسيّة أيضا بأنواعها: (البصرية، والسمعية ، والشمية والذوقية).

IV. و **الفصل الثالث:** البناء اللغوي والأسلوبي في موشحات عبد الغني النّابلسي، وفيه سمات اللغة النثرية والرمز في اللغة الصّوفية، و تراكيب الجمل بنوعيها الفعلية والاسمية وأثرها في موشحات النّابلسي، ودلالة التقديم والتأخير في كل منهما إضافة إلى الأساليب الإنشائية الأكثر تكرار في موشحات النّابلسي ودلالة توظيفها، دون إغفال دور التوكيد والنفي.

V. **والفصل الرابع:** البناء الموسيقي في موشحات عبد الغني النّابلسي وذلك بدراسة أوزان موشحاته ما جاء منها على أوزان العرب و ما خالف أوزان العرب بتنويع التفعيلات وعددها والمزج بين البحور إضافة إلى دراسة أنظمة القافية في موشحات النّابلسي وأنواعها ودلالة تكرارها و حرف الروي ودلالته...

أما عن الدّراسات السابقة فقد لقيت الموشحات الأندلسية عموما اهتماما كبيرًا من قبل الباحثين والدارسين والمستشرقين، وأُلفت حولها الكثير من الدّراسات النظرية، ويعد كتاب" **دار الطراز في عمل الموشحات**" **لابن سناء الملك،** من أهم المصادر التي أفردت صفحات مهمة للحديث عن الموشح وأنواعه وأوزانه، لكن الدّراسات التي تناولت الموشحات المشرقية قليلةـ في حدود اطلاعي ـ باستثناء كتاب "**الأدب في بلاد الشام في عصر الزنكيين والأيوبين والمماليك**" **للدكتور عمر موسى باشا،** حيث أفرد فصلا للحديث عن الموشحات المشرقية وظهور الموشحات الصّوفية والموشحات في بلاد الشام عرض فيها موشحات لمن اشتهروا بها في بلاد

الشام في القرنين السادس والسابع الهجريين الموافق للقرنين الثاني عشر والثالث عشر الملاديين أي الحقبة الزمنية السّابقة لعصر عبد الغني النّابلسي، ويعد كتاب الدكتور **مقداد رحيم** " **الموشحات في بلاد الشام منذ بدايتها حتى نهاية القرن الثاني عشر**" دراسة توافق الحقبة الزمنية التي عاصرها عبد الغني النّابلسي وهما القرنان الحادي عشر والثاني عشر الهجريين وقد تناول في هذه الدراسة الخصائص الفنية والموضوعية لموشحات تلك المرحلة التاريخية، غير أن إشارته لموشحات النّابلسي كانت مقتضبة جدا لم تتجاوز الموضعين أو ثلاث فقط.

وفي حدود اطلاعي لم أجد دراسة أفردت لموشحات عبد الغني النّابلسي غير أن الأستاذ الدكتور " فيطس عبد القادر " من جامعة الجلفة، قد ذكر لي بأن لأحد الباحثين والمسمى " حمزة بن عراق" دراسة حول موشحات النّابلسي لكن لم يتسن لي الاطلاع عليها.

أما الصّعوبات التي واجهتني في هذا البحث:

- التباس معاني بعض الألفاظ بالنّظر إلى خصوصية المعجم الشّعري الصّوفي والتي يعد الضّبط بالشكل واحدا من أهم موجبات القراءة الصحيحة لها، ومعينا رئيسا في الوقوف على دلالاتها الممكنة.
- طبيعة اللّغة الصّوفية ومفاهيمها التي تستدعي الكثير من التّفكير ومحاولة الاقتراب من المعنى المراد.
- التّقطيع العروضي لثلاث وسبعين موشحة ومحاولة ضبط الزحافات والعلل التي لحقتها، لتّمكُن من فرز بحورها، وإحصاء نسبها وتصنيف قوافيها، وقياس نسب تواتر رويها، أخذ مني وقتا كبيرا أثناء البحث.

ولا يسعني بعد هذا الجهد إلا أن أشكر الله تعالى وأحمده أن وفقني لإتمام هذا البحث، ويسَّرَ لي أسبابه، وذلل لي صعوباته، والشكر موصول للأستاذ الدكتور " حشلافي لخضر"

على الإشراف والتوجيه، كما أشكر الأستاذ الدكتور" عزلاوي محمد" على المساعدة التي أفادني بها، كما لا يفوتني شكر اللجنة المسؤولة على مناقشة هذا البحث.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآل محمد وصحبه أجمعين.

قوريدة صفية

الجلفة: 07/09/ 2015م